﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ٣٣﴾

[الزمر: 33]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

الـتّرغيـبُ بعدَ التّرهيبِ

لمّا ذَكَرَ ﷻ في الآيةِ السّابقة الكاذبَ المُكذِّب وجنايتَه وعقوبته؛ ذَكَر في هذه الآية الصّادقَ المُصدَّق وبيَّن أنّه من أهل التّقوى، وفي هذا ترغيبٌ بعد ترهيبٍ.

ومنها: لمّا بيَّن تعالى في الآية السّابقة حالَ الظّالمين وتكذيبَهم، وهم من طَرَفَي الاختصام في قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ ٣١﴾ [الزمر: 31]، وقَضَى في حقِّهم، مُتْبِعًا ذلك ببيانِ جزائهم في الآخرة: شرَع في هذه الآيةِ في بيانِ حالِ أضدادِهم الذين يُخاصمونهم عندَ ربِّهم[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡمُتَّقُونَ﴾: (وقي) كلمةٌ واحدةٌ تدلُّ على دَفْعِ شيءٍ عن شيءٍ بغيره؛ يُقال: وَقَيْتُه أقيه وقْيًا، والوِقايةُ: ما يَقي الشَّيءَ، واتَّقِ اللّهَ: توقَّهُ؛ أي: اجْعَلْ بينَك وبينَه كالوِقايةِ، والمقصودُ بهم في الآية: الذين اتَّقَوا جهنَّم بالصِّدْقِ؛ فجانَبوا الظُّلْمَ والكذبَ والتَّكْذيبَ[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الـــصِّـــدقُ والتّصديقُ بابُ الـوصـولِ إلى الجنَّةِ

تُخْبِرُ الآيةُ الكريمةُ بأنَّ الذي جاءَ بالصِّدْقِ والقولِ الحقِّ هو رسولُ اللّهِ ﷺ وخاتمُ أنبيائِهِ وإمامُ رسلِهِ والذين صدَّقوا به وآمنوا بأنّه من عند اللّهِ هُمُ المُتّقون؛ لأنَّهم دون سواهم هُمُ الذين جانَبوا الظُّلْم والكذبَ والتّكذيبَ؛ فليس لجهنّم عليهم سبيلٌ، ولا لهُم فيها مَنْزِلٌ ولا مَقيلٌ؛ بلِ الجنّة منزلُهم ودارُ خلودِهم ونعيمِهم[3].

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 6/ 446.
(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: (وقى)، والبقاعي، نظم الدرر: 6/ 447.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 6/ 447.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الواوِ في قولِهِ: ﴿وَٱلَّذِى﴾

الدّلالةُ على أنَّ الجامعَ بينهما التَّضادُّ والمُغايَرَةُ

الواو في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ عاطفةٌ لهذه الجملة على ما بعدَ الفاءِ في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ﴾ من باب عطفِ معنًى على معنًى، أو عطفِ مجموعٍ أكثر من جملةٍ على مجموعٍ أكثر من جملةٍ، وهذا شاهدٌ لمَن قال بجواز عطفِ الخبر على الإنشاءِ، والعكسِ، والجامعُ بينهما التَّضادُّ، والمُغايرةُ بينهما بالإنشاءِ والخبرِ لتصويرِ كمال المغايرة بينهما عملًا وجزاءً[1].

دلالةُ التّعبيرِ بالموصولِ:

كلُّ الشَّرَفِ والعظمةِ في طريقِ الصِّدْقِ

عبَّر القرآنُ بالموصولِ (الذي) في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾؛ لتمييزِ المُحدَّثِ عنه بالصِّلةِ، وهو الرّسول ﷺ ولكمالِ مدْحِه، والتّرغيبِ في الاقتداءِ به؛ لأنَّ الأصلَ أنَّ الاسمَ الموصولَ لا يُؤتَى به إلّا وصلتُه جملةٌ من الكلام قد سبَق من السّامع علمٌ بها، وأمرٌ قد عرَفه للموصولِ. وللإيماءِ إلى وجهِ بناءِ الخبرِ؛ لا سيما وقد سُبِقت الآيةُ بأضداد ذلك كلِّه.

سِرُّ التّعبيرِ بالمجيءِ دونَ الإتيانِ:

المُصْطَفى من النّاسِ من شأنِه أنْ يُعانيَ

عبَّر القرآنُ بالمجيءِ دونَ الإتيانِ في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾؛ للتّنبيهِ على شرَفِ هذا المقامِ وعظمتِه، وأنَّه لا يقومُ به إلّا من اصطفاهم الله من الرُّسُلِ عليهم السلام وفي مقدّمتهم رسولُنا ﷺ، وللدّلالة على شدّة ما يَلْقاهُ من مشَقَّةٍ وتعبٍ في سبيلِ تبليغِ رسالةِ ربِّه؛ لأنَّ المجيء إتيانٌ فيه صعوبةٌ. وفي المجيء "إشارةٌ إلى بذلِ الجهدِ بالذَّهابِ والخروجِ للبحثِ عن الشّيءِ، ثمّ بعد ذلك يصلُ إليه كأنَّه ذهبَ وخرجَ وبحث عنه، ثمّ جاءَ به، وفي هذا إشارةٌ إلى

(1) الشنقيطي، العذب النمير: 5/ 89.

أنَّ للصِّدْق مكامِنَ ومطارِحَ بعيدةً تَصِلُ إليها عقولُ العاشقين للحقيقةِ، والتّائقين إليها، وأنّهم أهلُ رحلةٍ وأهلُ أسفارٍ؛ وإنْ كانوا لم يبرحوا الحَضْرَة"[1].

دلالةُ التَّعبيرِ بالمجيء ماضيا:

الصِّدقُ مُلازمٌ له ﷺ ولما جاءَ بهِ

لَمّا كانَ مجيءُ رسولِنا محمّدٍ ﷺ بالصِّدْقِ الذي هو القرآنُ قد وقَع؛ نظَم القرآنُ المجيءَ فعلًا ماضيًا؛ للدَّلالة على تحقُّق المجيء، وإنْ كان لبعضه في هذا التّوقيتِ، حيث نزَّلَ مجيئَه ببعضِه منزلةَ مجيئِهِ به كلِّه.

دلالةُ الباءِ في قولِه: ﴿بِٱلصِّدْقِ﴾

بيانُ العَلاقَةِ بينَ الرَّسولِ والرِّسالةِ

الباءُ في قوله تعالى: ﴿جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾: واسطةٌ بينَ فِعْلِ المجيءِ والصِّدْقِ؛ فهي لتعدية فِعْلِ المجيء اللّازم، وإيصالِه إلى المفعول به. ومعنَى الإلصاقِ والاختلاطِ لا يُفارِقُها؛ فأوْحَتِ الباءُ بشِدّة حِرْصِ الجائي على تبليغِ الصِّدْقِ، وإبراز أهميّتِهِ وإظهارِه، والمُراد به القرآنُ.

بلاغةُ العطفِ في قولِهِ: ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾

الجمعُ بين الصِّدْقِ والتّصديق به سبيلٌ للتّقوى

قولُه تعالى: ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾: معطوفٌ على قوله تعالى: (الذي جاء بالصدق)؛ عَطْفَ جملةِ موصولٍ كاملةٍ على جملةِ موصولٍ كاملةٍ، فقولُه: ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ صلةُ موصولٍ محذوفٍ، تقديرُه: (والذي صدَّق به)؛ لأنَّ المُصدِّقَ غيرُ الذي جاءَ بالصِّدْق، والقرينةُ ظاهرةٌ؛ لأنَّ الذي صدَّقَ غيرُ الذي جاءَ بالصِّدْق؛ فهو ليس من عطفِ صلةٍ على صلةٍ. وسِرُّ الوصلِ ما بينهما من التَّوسُّط بين الكمالَيْن؛ فكلٌّ منهما خبريَّةٌ لفظًا ومعنًى، وحسَّنَ العطفَ بينهما كونُ كلٍّ منهما موصولًا وصلةً[2].

(1) أبو موسى، الزمر - محمد، وعلاقتهما بآل حم، ص: 237.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 7.

دلالةُ التَّرتيبِ في الآية:

مَـن كـذَب على رسولِ اللهِ كمَن كذَبَ على اللهِ

جاءَ ترتيبُ الموصولَيْنِ في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ على الأصلِ والظاهرِ؛ لأنَّ الرَّسولَ قائدٌ ومُتَّبَعٌ؛ لأنَّه مُبلِّغٌ عن اللهِ، وأمّا المُصدِّقُ فتابعٌ له. وهذا التّرتيبُ يتناغَى مع ترتيب ﴿مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ﴾ في الآية السّابقةِ؛ لأنَّ الرَّسولَ مُشرِّعٌ عن اللهِ؛ لأنَّه محلُّ وحْيِهِ تعالى؛ فمَن كذَبَ على رسولِ اللهِ كمَن كذَب على اللهِ، وأمّا التَّقابُلُ بين ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ و﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ﴾ فظاهرٌ.

سِرُّ التَّعبير بقولِهِ: ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾:

لا يُكتفى بصدقِك فحسب؛ بل لا بدَّ من تصديقِكَ للصّادقين

آثَرَ القرآنُ الكريمُ التَّعبيرَ بجملةِ ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ بعد قولِهِ: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾؛ للدّلالةِ على أنّه لا يُكتفى بصدقِك فحسبُ؛ بل لا بدَّ من صدقِك وتصديقِكَ للصّادقين؛ لأنّ كثيرًا من النّاسِ يصدقُ؛ ولكنَّه لا يصدّقُ غيره، وذلك لكبرٍ أو حسدٍ أو غيرِ ذلك. وفيه مدحٌ لِمَنْ جمعَ بينهما.

بلاغةُ الحذفِ في قولِه: ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾:

قد تعلو رُتْبَةُ المُصدِّقِ إلى حدِّ القُربِ من رُتْبةِ الجائي بالصِّدْقِ

في قوله تعالى: ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ اسمٌ موصولٌ محذوفٌ؛ أيْ: والذي صدَّقَ به، وقرينةُ الحذف ظاهرةٌ؛ لأنَّ الذى صدَّق غيرُ الذي جاء بالصِّدق، ويكون عطفُ ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ على ﴿جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ عَطْفَ صلةٍ على صلةٍ؛ وفي هذا دلالةٌ على أنَّ الذي جاءَ بالصِّدْقِ مُصَدِّقٌ بالصِّدْقِ، وهذا المعنى - وإنْ كان ظاهرًا ومعلومًا لا ريبَ فيه - إلّا أنّه ذو أهميَّةٍ في مسألةِ وجوبِ إخلاصِ العبادةِ للّهِ تعالى؛ لأنَّه يعني أنَّ الذي جاءَ بالصِّدْقِ أوَّلُ وأكملُ من يعملُ بمُقْتَضَى ذلك الصِّدْقِ.

قربُ رُتْبةِ الذي صدَّقَ به من الذي جاءَ بالصِّدْقِ

وفي الحذفِ أيضًا إشارةٌ إلى قُرْبِ رُتْبةِ الذي صدَّقَ به من الذي جاءَ بالصِّدْقِ؛ لأنَّ كلًّا منهما لم يكذِبْ على اللهِ وانقادَ له، ولأنَّ كلًّا منهما يُلاقي مشقَّةً بل مشقّاتٍ في سبيلِ الإيمانِ بذلك الصِّدْقِ

الذي هو القرآنُ الحكيمُ؛ وفيه ترغيبٌ عظيمٌ واضحٌ في التّصديقِ بالقرآنِ، وترهيبٌ شديدٌ واضحٌ من التَّكذيبِ بالصِّدقِ مع ما في الحذفِ من فضيلةِ الإيجازِ، والحثِّ على تأمُّلِ المعنى الذي جرَى في حيِّزِه الحذفُ.

سِرُّ التّعبيرِ بقولِهِ: ﴿وَصَدَّقَ﴾ على صيغة (فَعَّل)

القرآنُ الصِّدقُ من شأنِه أنْ يُخرِّجَ صِدّيقينَ

آثر القرآنُ الكريمُ التّعبيرَ بالفعلِ ﴿وَصَدَّقَ﴾ على وزن (فعَّل) دون الفعلِ المُجرَّدِ (صدَق)؛ لأنَّه يحمل معنى التَّصديق من الأتباع؛ لأنَّهم همُ الذين صدقوا الرَّسول واتّبعوا ما أُنزل معه من القرآن؛ لأنّه السَّبب في وصفه بالصِّدق؛ لأنّه معجزةٌ، والمعجزة تصديقٌ من اللّه لرسوله، ومن باب التَّناسب مع الآيةِ السّابقة في قوله: ﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدۡقِ﴾، حيث جاء على وزن (فَعَّل).

سِرُّ إيثارِ التّصديقِ على الإيمان:

المُصدِّقُ أبْصَر في القرآنِ بقوَّةِ الصِّدْقِ ودلائلَه

في إيثارِ التَّصديقِ على الإيمانِ في قولِه: ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ دون أن يقول: (وآمَنَ به) ونحْوِه إشارةٌ إلى أنَّ المُصدِّقَ أبْصَرَ في القرآنِ بقوَّةِ الصِّدْقِ ودلائله، ويُؤكِّد هذا أنَّ السّورةَ قامت على بيان الأدلّةِ الموجبةِ للإيمانِ والدَّعوةِ إلى إخلاصِ العبادةِ[1].

دلالةُ التّعبيرِ بالماضي:

التَّصْديقُ مقامٌ عَلِيٌّ شريفٌ

لَمّا كان المقامُ لبيانِ حالِ الفريقِ المؤمنِ في ساحةِ الاختصامِ عندَ الرَّبِّ ﷻ، وكانَ المحكومُ عليه من الأعمالِ من شأنِه أنْ يكونَ قد كانَ نظَم القرآنُ معنَى التَّصْديقِ فعلًا ماضيًا في قوله تعالى: ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦ﴾. ولم يَقُلْ تعالى: (والمُصدِّقُ به)؛ للإشارة إلى أنَّ أدنى درجاتِ التَّصديقِ رُتْبَةٌ عَلِيَّةٌ؛ يكون بها صاحبُها من الكُمَّلِ المُتَّقينَ.

سِرُّ تعديَةِ الفعلِ ﴿وَصَدَّقَ﴾ بالباءِ:

فِعْلُ التَّصديقِ يتعدَّى بنفسِه، وإنّما عدّاه القرآنُ بالباء؛ للتّنْبيه

(1) أبو موسى، الزمر - محمد، وعلاقتهما بآل حم، ص: 28.

على أنَّ هذا التّصديقَ مبنيٌّ على تأمُّلٍ ونظَرٍ وتفكُّرٍ وتدبُّرٍ في القرآنِ؛ لأنَّ مِثْلَ ما يُسَمَّى الصِّدْقَ يُتدبَّرُ؛ بخلاف ما ذُكرَ في الآيةِ السّابقةِ في قولِهِ: ﴿إِذْ جَآءَهُۥ﴾ الذي دلَّ على تكذيبِ الصِّدْقِ في أوَّلِ مجيئِه من غيرِ تدبُّرٍ فيه ولا تأمُّلٍ؛ فهل يستويانِ مآلًا؟!

لا يستوي من كذَّبَ بالصِّدقِ ومَن صدَّقَ بِهِ

ومِمّا يُذكرُ في سِرِّ التَّعبيرِ بالباءِ أنّها لمّا دلَّتْ مع التّعديةِ على تأمُّلِ المُصدِّقِ في القرآنِ؛ دلَّتِ الباءُ - التي لا يُفارِقُها معنى الإلصاقِ والاختلاطِ - على طولِ التَّأمُّلِ والنَّظَرِ، وعُمْقِ المُتأمَّلِ فيه وكثرتِه وكمالِ جمالِه وجلالِه، وأنَّ المُصدِّقَ لم يُصدِّقْ به إلّا بعدَ أنْ اختلطَتْ معانيه بنفسِهِ وقلبِهِ وفؤادِهِ وفطرتِهِ وعقلِهِ؛ ولهذا عبَّر القرآن بـ ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦ﴾.

التّصديقُ بالقرآنِ بعدَ اختلاطِ معانيه بالنَّفسِ

مرجعُ الضّميرِ في قولِهِ: ﴿بِهِۦ﴾:

الضّميرُ المجرورُ محلًّا في قوله تعالى: ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦ﴾ يجوزُ أنْ يعودَ على (الصدق) في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾، ويجوزُ أنْ يعود على (الذي)، والتّصديقُ بكليهما مُتلازِمٌ[1]. والظّاهرُ عوْدُه على (الصدق)؛ ليُقابِلَ قولَه تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ﴾، والمُراد به: القرآنُ.

الإيمانُ بالرّسولِ وما أُرسلَ به من القرآنِ متلازمان

دلالةُ إفرادِ الضَّميرِ في ﴿بِهِۦ﴾:

أُفردَ الضَّميرُ في قولِهِ: ﴿بِهِۦ﴾ إشارةً إلى قلّة الموصوفِ بهذا الوصفِ من الصِّدقِ، وهذا الفريق هو الرّسل وأتباعُهم، ولذلك حصر التَّقوى فيهم بقوله: ﴿هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[2].

دلالةُ التَّعريفِ باسمِ الإشارةِ للبعيد:

عبَّر القرآنُ الكريمُ باسم الإشارةِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾؛ للدّلالة على أنَّ المقصودَ به في الآية جديرٌ بما يأتي بعد اسمِ الإشارة؛ لاتِّصافِه بالذي جاء قبلَه. وللعنايةِ

أهلُ الصِّدقِ أهلُ الرُّتبةِ العاليةِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 8.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 6/ 447.

بتمييزِهم أكملَ تمييزٍ. والبُعْدُ فيه دالٌّ على بُعْد المكانةِ؛ فهم أصحابُ الرُّتْبَة في الدُّنيا والدّين والآخرة[1].

بلاغةُ أسلوبِ القصر:

التّقوى مقصورةٌ على أهلِ الصِّدْقِ

تظهرُ بلاغةُ القصرِ في قولِه تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾، وذلك بضمير الفَصْل ﴿هُمُ﴾ الذي يدلُّ على القَصْرِ، وكذلك تعريفُ الطَّرفيْنِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ ﴿ٱلْمُتَّقُونَ﴾؛ مع دلالةِ كلٍّ من الطّرفيْنِ عليه على حِدَةٍ، وهو قصرُ جنسِ المتّقين على ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾؛ قصْرَ صفة على موصوف قصرًا حقيقيًّا تحقيقيًّا؛ لأنّه لا مُتَّقيَ يومئذٍ غيرُ رسول الله ﷺ وأصحابِه، وكلُّهُم مُتَّقونَ؛ لأنَ المؤمنين بالنّبيّ ﷺ لمّا أشرقت على نفوسهم أنوارُه ﷺ تطهّرت ضمائرُهم من كلِّ سيِّئة؛ فكانوا محظوظين من الله بالتّقوى، والمعنى: أولئك همُ الذين تحقَّقَ فيهم ما أُريدَ من إنزال القرآن الذي أُشير إليه في قوله تعالى: ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزُّمر: 28][2].

سِرُّ التّعبيرِ بالتَّقوى دون غيرِها في قوله: ﴿ٱلْمُتَّقُونَ﴾

أحـــوالُ كـلِّ فـريـقٍ حـاضـرةٌ في الحديثِ عن ضِدِّهِ

وصَف القرآنُ الكريمُ الموصولَ الذي جاء بالصّدق وصدّق به بالتَّقْوَى: ﴿هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾؛ لأنَّ إثباتَ هذا المعنى لهم ينفي عنهم ما ثبَت لأضدادهم في الآية السّابقة؛ من الظُّلْم والكذبِ والتّكذيبِ؛ فإنَّ كلمة: ﴿ٱلْمُتَّقُونَ﴾ ناظرةٌ إلى جملة ﴿فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾؛ فإذا كان أهلُ الكذبِ لا مثوًى لهم إلّا جهنّم؛ فإنَّ طريقَ الوِقاية هو الصِّدْق؛ فهو الدَّواءُ النّاجعُ في كلِّ الأجيال، ووراءَ هذا من المعنى شدّةُ التّرهيبِ ممّا سلكَه الكافرونَ من الظُّلْم والكذبِ والتَّكذيبِ. ولا يجوز التّعبيرُ بـ (المفلحون)؛ لأنَّ هذا المعنى لا يلتئمُ مع قوله:

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 6/ 447، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 8، وأبو موسى، الزّمر - محمد، وعلاقتهما بآل حم، ص: 238.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 6/ 447، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 8، وأبو موسى، الزّمر - محمد، وعلاقتهما بآل حم، ص: 238.

﴿فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾، ولو عُبِّر به لضاع المعنى البيانيُّ الذي يَضيعُ معَه رونقُ البلاغة[1].

بلاغةُ التَّعْريفِ بأل: ﴿ٱلْمُتَّقُونَ﴾:

بلوغُ درجةِ الكمالِ في التَّقوى

ورَد وصفُ التَقوى مُعرَّفًا بأل: ﴿ٱلْمُتَّقُونَ﴾؛ دلالةً على معنى الكمالِ؛ أيْ: (أولئك هم الكاملون في التَّقْوى)؛ لبيانِ عظيمِ المجاهدةِ في تبليغِ الصِّدقِ، وفي التَّصديقِ بهِ؛ ترغيبًا في التَّأسّي بهِم، وللإيماءِ إلى كمالِ وقوعِ أضدادِهم في الكذبِ والتّكذيبِ والظُّلْمِ.

سِرُّ حذفِ مفعولِ اسمِ الفاعلِ: ﴿ٱلْمُتَّقُونَ﴾:

يُمدحُ أهلُ التَّقْوى بكمالِ تقواهم

لم يَذْكُرِ القرآنُ مفعولًا لاسمِ الفاعلِ ﴿ٱلْمُتَّقُونَ﴾ الذي يعملُ عمَل الفعْلِ؛ تنزيلًا لِما في معنى الفعلِ المُتعدّي منزلةَ اللّازمِ؛ لقصدِ إثباتِ المعنى في نفسِه لهم من غير تعرُّضٍ لذِكْرِ مفعولٍ؛ كما تقولُ: (فلانٌ يَحُلُّ ويَعْقِدُ، ويأمُرُ وينهى)؛ أيْ: صار إليه الحلُّ والعقدُ والأمرُ والنَّهيُ، وصار بحيثُ يكونُ منه حلٌّ وعَقْدٌ وأمرٌ ونهيٌ؛ لأنَّ الغرضَ مدحُهُم بكونِ التَّقْوى من ديدنِهم؛ فهم يتَّقون كلَّ شيءٍ يُؤدّي إلى غضبِ اللّه، وعذابِ اللّه، ووراء هذا من المعنى أنَّ الوقاية من الكذب على اللّه والتّكذيبِ بالصِّدقِ تحتاجُ إلى تقوًى عظيمةٍ، وأنَّ من اتَّقَى هذيْنِ فقد صار كاملًا في التَّقْوَى. ونتَج عن الحذفِ لغرضٍ معنويٍّ توافُقُ الفواصلِ.

دلالةُ الاسميَّة ﴿ٱلْمُتَّقُونَ﴾:

في الاسميّة بُشْرَى ثُبوتِ الأتباعِ على التّقوى الكاملةِ

قولُه تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ جملةٌ اسميَّة؛ تدلُّ على الثُّبوتِ والدَّوامِ، واسميَّتُها: نِتاجُ أغراضٍ معنويَّةٍ اقتَضَتْ عناصرُها الاسميَّةَ، وهي مفيدةٌ الحُكْمَ على أهلِ الصِّدقِ بالتّقوى والوقاية على جهة الاستمرارِ والدَّوامِ والثُّبوتِ؛ وهذا إبلاغٌ في مدحِهم، وترغيبٌ في التّأسّي بهم.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 6/ 447، وأبو موسى، الزمر - محمد، وعلاقتهما بآل حم، ص: 239.

سِرُّ الإفرادِ والجمعِ في الآيةِ:

الصِّدْقُ في نفسِه عظيمٌ؛ فكذلك من يتعلَّقُ به

أفردَ القرآنُ عائدَ الموصول في قوله: ﴿وَصَدَّقَ﴾؛ رَعْيًا للفظ (الذي)؛ وذلك كلُّه من الإيجازِ، والحاصلُ أنَّ الإفرادَ هنا في ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦ﴾ على خلاف الأصل، وأمّا في قوله: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ فعلى الأصل؛ لكون المُرادِ به نبيَّنا محمّدًا ﷺ؛ لكنَّ الموصول في قوله: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ عامٌّ يشملُ كلَّ رسولٍ، وكلَّ مُتَّبِعٍ له؛ صدَّقَ بما جاءَ به؛ ولعلَّ القرآنَ أفرَد الضّمير؛ إشارةً إلى قلَّة الموصوفِ بهذا الوصفِ من الصِّدْق؛ وهذا الفريقُ هو الرُّسُل وأتْباعُهُم؛ ولذلك حصَر التَّقْوى فيهم. وفي الجمع في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾: إشارةٌ إلى عَظَمَتِهم؛ وإنْ كانوا قليلًا. وفي كونِ: ﴿ٱلْمُتَّقُونَ﴾ جمعَ قِلَّةٍ إشارةٌ إلى تميُّزِهم واصطفائِهم؛ شأنَ كلِّ قليلٍ لا سيّما في مقامِ المدحِ والثّناءِ[1].

بلاغةُ الاحتباك في الآية وسابقتِها:

الاحتباكُ سبيلٌ للموازنةِ بين المعاني؛ لأنَّ قَوامَه الحذفُ والذِّكْرُ

اشتملت هذه الآيةُ والآيةُ التي قبْلها على ما يُسمَّى بفنِّ الاحتباكِ؛ فقد ذكرتِ الآيةُ السّابقةُ المثوى في جهنّم دليلًا على حذفِ ضدِّه ثانيًا في هذه الآية. وذكرت الآيةُ الثّانيةُ الاتِّقاءَ؛ دليلًا على حذفِ ضدِّه في الآية الأولى؛ وسِرُّ ذلكَ: أنَّ القرآن ذكَر أنكأ ما للمُجْرِم من الكفر وسوءِ الجزاءِ، وأسَرَّ ما للمسلم من قصْر التَّقْوى عليه، وذكَر أحَبَّ جزائه إليه، والإشارةَ إلى عراقته في الإحسان. وفي الآيتَيْنِ احتباكٌ آخَرُ؛ ذكَر القرآنُ الكذبَ والتّكذيبَ أوَّلًا؛ دليلًا على الصِّدْقِ والتّصديق ثانيًا، والاتِّقاءَ وجزاءَه وما يتْبَعُه ثانيًا؛ دليلًا على ضِدِّه أوّلًا؛ وسِرُّه أنَّه ذَكَر في شِقِّ المُسيءِ أنكأ ما يكونُ من الكذِب والتّكذيبِ في أقبح مواضعه، ولا سيّما عند العرب، وأسرَّ ما يكون في شِقِّ المُحسِن من استقامة الطَّبْع وحُسْنِ الجزاءِ[2].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 6/ 447، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 8.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 6/ 447.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخمسون،
سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخمسون، سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 50 ، 822 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-81-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 50 : المجلد الخمسون، سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-81-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1291842 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»